رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 5- سورة الجاثية | من الأية 12 إلى 32

عبدالرحمن العجلان

العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد. سم الله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم كالذين امنوا وعملوا الصالحات الذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون - 00:00:01

وخلق الله السماوات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة - 00:00:43

هذه الايات الكريمة من سورة الجاثية يقول الله جل وعلا حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء احياهم سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون. الايات وجاء - 00:01:09

قبلها قوله جل وعلا ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعظهم اولياء بعظ والله ولي المتقين - 00:01:47

هذا للناس وهدى وموعظة هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون قال جل وعلا في الايات قبلها وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين وبين في هذه الاية جل وعلا - 00:02:14

الذين اجترحوا السيئات مع الذين امنوا وعملوا الصالحات بين جل وعلا مآل الظالمين ومآل المؤمنين المتقين ثم بين جل وعلا حال العاملين بالسيئات مع حامل حال العاملين بالاعمال الصالحات وام هنا ام حسب - 00:02:51

هذه بمعنى بل والهمزة ام حسب الذين اجترحوا اجترحوا يعني اكتسبوا السيئات قيل المراد بها الشرك وقيل المراد بها الاعمال السيئة ايا كان نوعها قيل هذه الاية نزلت في قوم - 00:03:31

من الكفار قالوا لقوم من المؤمنين لان بعثنا كما زعمتم لانهم ينكرون البعث لئن بعثنا كما زعمتم لنكونن افضل منكم لاننا فضلنا عليكم في الدنيا فان كان بعث فسنفضل عليكم في الاخرة - 00:04:07

وقيل نزلت في ثلاثة من المؤمنين وثلاثة من المشركين تبارزوا بعضهم لبعض يوم بدر وهم من الكفار عتبة وشيبة ابن ربيعة والوليد ابن عتبة ثلاثة من الكفار وعلي وحمزة وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم وارضاهم - 00:04:39

فقتل علي وحمزة وعبيدة من خرجوا لهم وهم عتبة وشيبة والوليد ابن عتبة فانزل الله جل وعلا ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات قال العلماء - 00:05:19

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب يعني هذه عامة اللفظ عام وان كان سبب النزول خاص في ثلاثة من المشركين مع ثلاثة من المؤمنين او في قوم من المشركين مع المؤمنين - 00:05:51

فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالله جل وعلا ينكر على المشركين هذا الظن وهذا الحسبان هم يحسبون انهم يكونون سواء وليس كذلك ام حسب استفهام معطوف يراد به الانكار - 00:06:15

فمعناه انه معطوف على ما قبله وفيه اظمار اي كما تقدم والله ولي المتقين اف يعلم المشركون ذلك ام حسبوا ان نسوي بينهم وقراءة الجمهور ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم - 00:06:51

كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم شاء ما يحكمون وقراءة اخرى لجمع من القراء من السبعة ام حسب الذين

اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم بنصب سواء - 00:07:23
سواء محياهم ومماتهم ومنها قراءتنا قراءة حفص عن عاصم رحمهم الله سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون. يعني ساء هذا الحكم حكمهم والظمير في محياهم ومماتهم يعود الى الكفار اي ان - 00:07:58
لا نجعلهم وهذه الاية يسمى العابدين العابدين ان تميم الداري رضي الله عنه قرأ بهذه الاية في اول الليل فاخذ يكررها في كل ركعة يركع ويسجد ويعيدها حتى اصبح او قرب من الصباح - 00:08:29
وقال بشير ابن وقال بشير بت عند الربيع بن خيثم ذات ليلة فقام يصلي فمر بهذه الاية فمكث ليله حتى اصبح لم يعدها ببكاء شديد وقال ابراهيم للاشعث كثيرا ما رأيت الفضيل بن عياض يردد من اول الليل الى اخره هذه الاية - 00:09:12
ثم يقول ليت شعري من اي الفريقين انت ولذا سميت هذه الاية عند السلف اية العابدين. كان العباد رحمة الله عليهم اذا مروا بها ما استطاعوا مجاوزتها فكانوا يكررونها ليلتهم - 00:09:52
فالله جل وعلا لا يجعل حال هؤلاء مثل حال هؤلاء وللعلماء رحمهم الله في معناها منهم من قال ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات في حال الحياة وفي حال الممات يختلفون - 00:10:21
لان المؤمن في حال الحياة في حال اطمئنان ورضا وسرور وان كان في ضيق من العيش وان كان في فقر وان كان في مرض فانه راض بما قسم الله له ومحتسب الثواب عند الله جل وعلا. فلذا قلبه مطمئن - 00:10:50
مطمئن راض مرتاح والفاجر والكافر والعياذ بالله يصحبه ذل المعصية وقلبه موحش وحاله سيئة عند اتفه الاسباب يضيق ذرعا ويتفجر ويعترض على الله جل وعلا في قضائه وقدره حتى وان كان في رغد من العيش - 00:11:15
وهم في حال الاخرة اكبر فرقا واعظم فالمؤمنون في جنة عرضها السماوات والارض اعدت للمتقين. والكفار والفجار والعياذ بالله في نار وقودها الناس والحجارة ومن المفسرين رحمهم الله من قال في معناها - 00:11:49
لا يظن هؤلاء اننا نجعل حال المؤمنين في الدار الاخرة كحال الفجار والعصاة فلا يقيس على امر الدنيا لان امر الدنيا شأنه هين عند الله جل وعلا ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء - 00:12:17
فلا يظن هؤلاء انهم حينما فضلوا عليهم او ساووهم في الدنيا انهم يكونون مثلهم في الدار الاخرة لا فرق بعيد فحال الاخرة لا تقاس بحال الدنيا ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء - 00:12:52
احياهم ومماتهم شاء لا يكونون سواء. بل هناك فرق عظيم فعند الممات الملائكة ملائكة الرحمة تتنزل على المؤمنين وتبشرهم وتؤنسهم وتطمئنهم لما امامهم وتهون عليهم وتسهل عليهم ما تركوه كما قال الله جل وعلا ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا - 00:13:25
اتخاف مما امامكم ولا تحزنوا على ما خلفتم الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون هذه حال المؤمن عند الموت. يبشر بالجنة واما اولئك والعياذ بالله فالملائكة تضرب وجوههم وادبارهم - 00:14:11
وتنتزع ارواحهم من اجسادهم كما ينتزع السفود من الصوف المبلول بشدة وقسوة والمؤمن تخرج روحه من جسده كما تسيل القطرة من في السقاء. من فم السقاء تخرج بسهولة ويسر فشتان بينهم - 00:14:39
وعند القيام من القبور المؤمنون تتلقاهم الملائكة وتبشرهم وتؤمنهم والكفار والفجار تتلقاهم ملائكة العذاب وتسوقهم الى نار جهنم سوقا والعياذ بالله فلا يستوي الفريقان يقول تعالى لا يستوي المؤمن والكافر - 00:15:05
كما قال لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون وقال ها هنا ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان عملوها وكسبوها ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم - 00:15:34
اي نساويهم بهم في الدنيا والاخرة يا اما يحكمون ليس اما ظنوا بنا وبعدلنا ان نساوي بين الابرار والفجار في الدار الاخرة وفي هذه الدار وخلق الله السماوات والارض بالحق - 00:15:58
ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون الله جل وعلا ما خلق الخلق عبثا بل خلق الخلق من السماوات والارض ومن فيهما ومن

وما بينهما كله بالحق العادل فلو جعل الاتقياء - 00:16:20
والاشقياء في حال واحدة لكان ذلك جور وظلم. والله جل وعلا منزه عن الظلم وخلق الله السماوات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت عام فيها بشارة للمؤمنين وفيها تخويف - 00:16:47
وزاجر للظالمين الكافرين كل سيجزى بما عمل كما قال الله جل وعلا في الحديث القدسي يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياه فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه - 00:17:13
ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون وما ربك بظلام للعبيد؟ والله جل وعلا لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون الله جل وعلا منزه عن الظلم. والظلم في مثل هذا ان يزاد في السيئات. والله جل وعلا لا يزيد في - 00:17:40
او ينقص من الحسنات. والله جل وعلا لا ينقص من الحسنات. بل هو جل وعلا يزيد في الحسنات ويعفو عن كثير من السيئات فالمرء اذا عمل لنفسه ما قدمه من خير وجده - 00:18:06
وما قدمه من شر والعياذ بالله وجده ان لم يعفو الله جل وعلا عنه وقد روى الطبراني من حديث شعبة عن مسروق ان تميم الداري قام ليلة حتى اصبح يردد هذه الاية - 00:18:29
ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات ولهذا قال تعالى يا اما يحكمون وقال وخلق الله السماوات والارض بالحق بالعدل ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون - 00:18:47
ثم قال تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه واظله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون افرأيت تجيب من حال هذا المرء - 00:19:10
الذي اتخذ الهه هواه يعني جعل الهه ما يهوى ما املت عليه نفسه اتخذه دينا وما لم ترده نفسه لا يميل اليها عبد هواه اطاع هواه في معصية الله جل وعلا - 00:19:41
افرأيت يعني هل رأيت اضل ممن هذه صفته هل احد يستطيع ان يهديه هل احد يستطيع ان يقومه على الصراط المستقيم افرأيت من اتخذ الهه هواه واظله الله على علم - 00:20:12
اظله الله على علم على علم علم يصح كما قال كثير من المفسرين على علم من الله جل وعلا بانه يضل ولا يسلك الصراط المستقيم او على علم منه هو - 00:20:41
ظل وهو يعلم والعياذ بالله انه على الظلال يعلم انه ظل وانه منحرف عن الصراط المستقيم وفعل هذا عنادا كابي جهل مثلا ابي جهل لما سمع شيئا من القرآن قال له الوليد ابن المغيرة ما تقول في هذا - 00:21:06
وقال في القرآن قولا حسنا وقال لما لم لا تتبع محمد اتعتقد انه ضال قال لا والله كنا نناديه في حال صباه بالصادق الامين فلما بان منه الشيب جهلناه وظللناه - 00:21:38
لا والله ولكن لا نتبع يتيم ابي طالب وتتحدث بنا بنات مكة لاننا اتبعناه نريد مما في يده والله لا نؤمن به والله لا نؤمن به وحلف ايمانا كثيرة وهو يعلم - 00:22:03
حقيقة انه على الضلال ويعلم حقيقة ان محمدا صلى الله عليه وسلم على الهدى وكذلك اليهود يعرفون ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله وانه صادق فيما اتى به - 00:22:32
فكفروا به عنادا واستكبارا والعياذ بالله وهم يعلمون انهم على الظلال ومع ذلك تمسكوا به قال علماء السلف هذه الاية فيها رد على القدرية يعني نفاة القدر الذين قالوا ان العبد - 00:22:57
ما اظله الله لان الله جل وعلا لا يخلق الشر وانما يخلق الخير فقط وعلى السنة والجماعة يقولون لا يكون في الوجود شيء الا الله خالقه فلا خالق الا هو - 00:23:24
وهو جل وعلا يخلق الخير ويخلق الشر لحكمة وهو اعلم باحوال عباده جل وعلا فحكم على هذا بالظلال لانه يعلم جل وعلا انه يضل ولا يسلك الصراط المستقيم وحكم لهذا بالهداية والتوفيق لانه جل وعلا يعلم ان هذا يسلك الصراط المستقيم ويرظى - 00:23:43

ويأخذ به واظله الله على علم من الله جل وعلا بانه يضل ويجوز ان يكون المراد واضله الله على علم منه هو اي المخلوق انه على الظلال وانما تمسك بما هو عليه وهو على الضلال - 00:24:11

اتخذ الهه هواه. يعني ما يقوده اليه هواه. وقد ورد في القرآن والسنة التحذير من اتباع الهوى ان الهوى يعمي ويعصم والهوى يوصل المرء الى الهوان الى النار والعياذ بالله - 00:24:34

يقول الاصمعي سمعت رجلا يقول ان الهوان هو الهوى قلب اسمه فاذا هويت فقد لقيت هوانا وسئل ابن المقفع عن الهوى فقال هوان سرقت نونه واصله الهوى هوان لكن سرقت نونه فصار هوى - 00:25:00

هوان سرقت نونه فنظمه الشاعر بقوله نون الهوان من الهوى مسروقة فاذا هويت فقد لقيت هوانا يعني اذا ملت الى الهوى فانك ملت الى الهوان حينئذ والله جل وعلا يقول واما من خاف مقام ربه - 00:25:30

ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى واظله الله على علم وختم على سمعه وقلبه ختم الله على سمعه فلا يسمع الحق ولا يقبل وختم على قلبه فلا يميل الى الحق والصدق والصواب - 00:26:00

وانما يميل الى الضالة وجعل على بصره غشاوة ظلمة لا يبصر وان كان بصير العينين لكنه اعمى البصيرة والعياذ بالله وقرأ غشاوة وغشوة وغشوة بظم الغين قراءات من اتصف بهذه الصفة فمن يهديه من بعد الله يعني لا احد يستطيع - 00:26:27

ان يهديه الى الصواب لانه منكوس والعياذ بالله مقلوب الى الضالة ولم يرد الحق اطلاقا افلا تذكرون اي تتعظون وتطلبون الهداية من الله جل وعلا وترجعون ايها الكفار عن غيكم بالتوبة الى الله جل وعلا - 00:27:04

فمهما رآه حسنا فعله ومهما رآه قبيحا تركه وهذا قد يستدل به على المعتزلة في قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين وعن مالك فيما روى عنه في التفسير لا يهوي شيئا الا عبده - 00:27:38

وقوله واضله الله على علم يحتمل قولين احدها واظله الله لعلمه انه يستحق ذلك ان يعلم الله جل وعلا ازلا انه يضل ولا يقبل الحق اطلاقا والاخر واظله الله بعد بلوغ العلم اليه - 00:27:58

وقيام الحجة عليه على علم منه اي العبد يعلم انه ضال لكن عنادا والعياذ بالله الى هذه الاية نزلت في الحارث ابن نوفل ابن عبد مناف وقال مقاتل نزلت في ابي جهل - 00:28:25

وذلك انه طاف بالبيت ذات ليلة ومعه الوليد ابن المغيرة وتحدثا في شأن النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل والله اني لاعلم انه لصادق فقال لهما وما وما دلك على ذلك - 00:28:46

قال يا ابا عبد شمس كنا نسميه في صباه الصادق الامين فلما تم عقله وكمل رشده نسميه الكاذب الخائن. والله اني لاعلم انه لصادق قال فما يمنعك ان تصدقه وتؤمن به - 00:29:09

قال تتحدث عني بنات قريش اني قد اتبعت يتيم ابي طالب من اجل كسرى واللاتي والعزى ان اتبعته ابدا. يعني ما اتبعه ابدا والثاني يستلزم الاول ولا ينعكس وختم على سمعه وقلبه - 00:29:29

وجعل على بصره غشاوة فلا يسمع ما ينفعه ولا يعي شيئا يهتدي به ولا يرى حجة يستضيئ بها ولهذا قال فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه - 00:29:56